

الخصائص

من هذا النحو وهذه الصنعة المادّةُ الواحدة تتقلّب على ضروب التقلب كان غريبا معجبا . فكيف به وهو يكاد يساوق الاشتقاق الأصغر ويجاريه إلى المدّى الأبعد . وقد رَسَمْتُ لك منه رسماً فاحتذِهِ وَتَقَيُّلْهُ تحطّ به وتُكثِر إعظام هذه اللغة الكريمة من أجله . نعم وتسترفدّ هـ في بعض الحاجة إليه فيعينك ويأخذ بيدك ألا ترى أن أبا علي C كان يقوِّى كون لام (أَثْفِيَّة) فيمن جعلها (أفعولة) واوا بقولهم : جاء يَثْفُة ويقول : هذا من الواو لا محالة كيّعه . فيرجح بذلك الواو على الياء التي ساقتها في يَثْفُوه ويثفيه . أفلا تراه كيف استعان على لام ثَفَا بِفَاء وَثَف . وإنما ذلك لأنها مادّة واحدة شُكِّلَتْ على صُور مختلفة فكأنها لفظة واحدة . وقلت مرة للمتنبئ : أراك تستعمل في شعرك ذا وتا وذى كثيرا ففكّر شيئا ثم قال : إن هذا الشعر لم يُعمل كلاًه في وقت واحد . فقلت له : أجل لكن المادّة واحدة . فأمسك البتّة . والشيء يذكر لنظيره فإن المعاني وإن اختلفت معنيّاتها آوية إلى مضجع غير مُقَصِّصٍ وآخذ بعضها برقاب بعض باب في الإدّغام الأصغر .

قد ثبت أن الإدّغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت . وهو في الكلام على ضربين : أحدهما أن يلتقى المثلّان على الأحكام التي يكون عنها الادّغام فيّـدغم الأول في الآخر